



مع خبيرالنمذجة السلوكية  
الدكتور عبد الفتاح السمان



## صداقة المصالح..

هل يجب أن تتجنبها أم تستثمرها

سنحدث عن الصداقة المبنية على المصلحة، والشكوى من علاقات المصلحة القائمة على الانتهازية والاستغلالية، إنها ليست حالة نادرة!

الإنسان بشكل أو بآخر "مصلحي" أو "مصلحة": حتى في أكثر أفعاله إثارةً، فهو يبحث عن سعادة التضحية والإيثار في سبيل الآخرين، لكن هناك نمط من الانتهازين لا يمكن تجاهله أو تبريره بالفطرة النفعية للإنسان.

يعتقد البعض أن الناس لا يصاحبون إلا المصلحة، هل هذا صواب؟ أليس الكل يحتاج الكل؟ فما العيب في ذلك؟

### تعريف صحبة المصلحة:

لولا المصلحة لما اجتمع الناس مع بعضهم، الزوج والزوجة والأولاد والمدير في العمل... كلنا نتعامل من خلال المصلحة، وهذا ليس عيباً، سواء مصلحة أو نفع متبادل.

### ثلاثة محاور نصاحب الناس من أجلها:

مجموعة بكلمة (أمن) الصحبة.

### المحور الأول - أسرار الصحبة:

مثال: صديقي يعرف أسراري أكثر من أهلي أو أي أحد آخر، خاصة بمرحلة الطفولة، إنَّ الأسرار بين الأطفال عادةً الأم لا تعرفها والآباء أيضاً لا يعرفونها، هناك أسرار متبادلة كلما ازدادت ثقتي بصاحبي ازدادت الأسرار.

### المحور الثاني - عدم المبالغة:

يجب أن نتجنبها، يوجد صاحب، حبيب، أخ، مدير في العمل، لا يوجد مبالغة يجب أن يكون هناك حدود للصحبة. ورد في الأثر: «أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَّا؛ عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَّا. وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَّا؛ عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَّا» [أخرجه الترمذي].

فهذه المبالغة في الصحبة تتحول من إطار الصحبة إلى إطار شقيقي وأعز من أخي.. هذا خطأ لا يوجد شيء اسمه "أعز من أخي"، هذه كلمة فاشلة، ولا يوجد شيء اسمه "هذا الشخص أقرب من أهلي"، هذه المبالغة أخرجت الصحبة عن إطارها!

### المحور الثالث- نفع متبادل:

يعني أنا أمام خيارين لا ثالث لهما، هذا الصاحب إما أن ينفعني أو يضرني لا يوجد شيء بالوسط؛ إما نفع أو ضرر.

دليل هذا الكلام حديث النبي صلى الله عليه وسلم يذكر عن الصحبة ويعطي مثالين لا ثالث لهما...

«إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَحَامِلِ الْمَسْكِ، وَنَافِخِ الْكَيْبَرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ: إِذَا أَنْ يُحْدِثِكَ، وَإِذَا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِذَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكَيْبَرِ: إِذَا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِذَا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً خَبِيثَةً»  
[أخرجه البخاري ومسلم]

الصاحب الأول هو الصاحب الجيد، كحامل المسك إما أن تبتاع منه أو تشم منه رائحة طيبة، يعني مستفيد في الحاليتين.



أما الصاحب الثاني فهو كنافخ الكبر، الذي ينفخ لكي يوقد النار، هذا إما أن يؤذيك بناره أو أن يؤذيك بريحه. يجب أن نتجنب الصداقات الهلامية غير المفيدة، وخاصة الأطفال والشباب المقبلين على المدارس والجامعات، احذروا من ضياع الوقت مع الشخص الهلامي الذي لا نفع و لا ضرر منه، عملياً إذا الشخص لا يفيدني فهو يضرني؛ لأن حالته السلبية من عدم التفاعل هي التي تؤدي إلى جعله صديق وصاحب سوء.

الإمام ابن عطاء الله السكندري يقول: (لا تصحب إلا من ينهضك حاله، أو يدلك على الله مقاله).

يجب أن أعرف صاحبي الذي أتعامل معه؛ إما أنني أستفيد منه في الدنيا أو في الآخرة أو كليهما، فالصاحب الذي يعلمني معلومات جديدة ويساعدني بأموري المستعصية، ويدلني على أصحاب عمل ممكن أن يساعدوني، أو أنه ينفعني بالآخرة، مثلاً: صاحب مسجد يعلمني القرآن ويدلني على الخير ويصلح بيني وبين عائلتي، فإما يقدمني إلى عمل طيب أكسب منه مالاً أو أكسب منه حسنات (إما ليرات أو حسنات)، أما الصاحب الذي ليس منه فائدة؛ يعني صاحب يرمي همومه عليّ حتى أصبح إنساناً محبباً! الإنسان الذي يشكي همومه وتذمره من كل شيء ويتكلم بالغيبة والنميمة ولا يتكلم بغير ذلك فهذه إساءة وأنانية وصاحب سوء.

الصحبة الصالحة في مجال العمل - مثلاً -، يتفق الصديقين على أن يطوّرا ويحيّنا الأداء في العمل.

أو الجيران - مثلاً -؛ ينصحون بعضهم بالصلاة في المسجد، وقراءة القرآن، وتعليم أولادهم الأفضل.

لا يوجد خيار ثالث، إما شيء جيد في الدين والدنيا أو الخيار الثاني؛ وهو صديق السوء.

### هل العلاقات الزوجية مبنية على المصالح أو لا؟



القاعدة هي: الرجل يعطي أماناً ويأخذ حباً، والمرأة تمنح حباً لتأخذ أماناً.

متى تفكر الزوجة بالانفصال عن زوجها؟ عندما تفقد الأمان معه، مثلاً زوجها يتعاطى مخدرات، له أفعال تنافي القانون، فاشل في العمل...، لم يعد يوجد أمان عنده فالأحسن لها أن تتركه.

وأيضاً الرجل؛ متى يفقد الأمان مع زوجته؟ إذا شعر أنها لم تعد تحبه، لم تعد تريد هذه العلاقة، إذا ما الذي يجبره على الاستمرار.

لذلك الشرع لما شرع الطلاق، قال تعالى: ﴿وَأِنْ يَتَرَكَهَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاًَّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء:

130].

السطر النهائي في العلاقة الزوجية: هي تريد الأمان وهو يريد الحب

الحب والأمان نسمة "ضرورة"، كل العلاقات في الدنيا، بيننا وبين الله وبيننا بين الناس قائمة على "الضرورة".

علاقتنا مع الله على ماذا مبنية؟ عندما نستنفذ كل وسائل الأرض نلجأ إلى الله.

قال تعالى: ﴿مَنْ يُجِيبِ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفِ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:62].

نلاحظ أن كل الناس تدعوا الله، وأحياناً لا يُستجاب دعاؤها لماذا؟ لأنه ليس مضطراً، عندما تصل إلى مرحلة أنك مضطر تماماً سيستجاب دعاؤك.

### العلاقة بين الآباء والأبناء ضرورة؟! كيف ذلك..؟

علاقة ضرورة طبعاً، الابن مضطر لوالده في صغره وكبره وكل مراحل حياته، حتى حياته ما بعد الموت، لولا رضا والدي ربما لا أدخل الجنة!  
اتفقنا على أن العلاقة يجب أن تكون مبنية على المصلحة، ولكن هل ستتطور صداقة المصلحة وتصبح صداقة حقيقية في يوم ما؟

الجواب: لا... ستبقى مصلحة، سيزداد الحب والود والنفق، عندما نقول كلمة "صحبة" فإننا نتذكر صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، ما الذي نفهم؟ من كان سيدنا عمر قبل أن يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم، كان داخل على النبي صديق سوء ويريد أن يقتل النبي وأصحابه. ثم خرج "عمر" من عنده، ماذا أفادته الصحبة؟ بدأ مسلماً عادياً ثم مع المجموعات ثم... ثم خليفة المسلمين، إذأ هذه الصحبة ماذا فعلت؟ صنعت منه رجلاً أعلى.

### ما معيار الصداقة المقبولة مع صديقك؟

طالما هناك نفع متبادل وضرورة لبقاء الصحبة نستمر في هذه الصحبة.

مثال على ذلك: صديقي بالجامعة عندما تعرفت عليه كان معدلي 50% في السنة الأولى وعندما تخرجنا أصبح معدلي ومعدله 90%، إذأ هذه صحبة خير.

مثال عكسي: عندما تعرفت على صديقي بالجامعة بدأت أدخّن مثله وأعاكس الفتيات، وأصبحت أضيّع الوقت مثله، وتركت صلاتي بعدما كنت لا أضيع فرضاً... إذأ هذا صديق سوء، والصاحب صاحب.

يجب أن أقارن العلاقة الزوجية، هل علاقتي مع زوجتي بالبداية مثل الآن؟ أم أنها ترتقي؟ كم من فائدة أدخلتها على زوجتي؟ يجب أن أبحث عن الضرورة والرقى في هذه المصلحة.

### هل يوجد مصلحة متبادلة ومصلحة من جهة أخرى؟

إن كانت المصلحة من جهة واحدة للشخص فهو جليس سوء، العلاقات بين الشباب والبنات، نحن دائماً نُحذّر الفتيات من الصديق الذي يظن أنه صديق، لكنه يريد أن يستنفع منك لا يريد أن يعطيك، إذا كنت تريدني أن أحبك فتقدم بخطبتي من أهلي، فيرفض، لأنها صحبة مصلحة من طرف واحد.

## الرسالة هنا: كن ضرورة لمن حولك!

أيها الزوجة: هل تريدین زواجاً بلا طلاق؟ كوني ضرورة بحياة زوجك كل يوم.

أيها الزوج: هل تريد زوجتك أن تحبك؟ كن ضرورة لها كل يوم، ويجب أن تعرف إذا لم تنفعها فلن تنفعك، القضية نفع متبادل، وإذا وجد نفع متبادل في الدين والآخرة فهذا جيد، أما منفعة من طرف واحد فهذه صعبة لا داعي لها.

### كيف تنعكس الصعبة على الأطفال وكيف نعلمهم ذلك بشكل صحيح؟

الفكرة الأساسية أن أركز عليها في موضوع الأطفال: أن أعود طفلي على ذلك من الصغر، هذا الصديق إذا لم ينفعك في دراستك ويكون سبباً في تحسين عاداتك وأخلاقك فلا تصاحبه.

مثال على صاحب السوء: أقول لطفلي: لاحظ! كلما تذهب للمدرسة فإن صديقك يأكل من طعامك ويستعير كل أغراضك ويتكل عليك بكتابة وظائفه، وعندما ياتي لبيتك يطلب أن يلعب بألعابك، هذا واضح أنه يريد أن يأخذ ولا يعطي!

لتر ماذا نفعك صاحب الجيد، كنت تأخذ علامة متدنية بالإملاء وأصبحت بعد ذلك مرتفعة، إذاً هذه صعبة جيدة، هل كنت لا تحفظ شيئاً من القرآن وأصبحت تحفظ الآن، هل كنت تغضب من والدتك فغيرت هذا السلوك الآن؟

مثلاً: صديقك أهداك هدية فيجب أن ترد لها وتكون نافعاً له، يجب أن أعلم أطفالنا من الصغر أن صاحب مفيد ويجب أن نبادله ذلك، دعونا نعود بعضنا على فكرة أستفيد وأفيد، أما العلاقة من طرف واحد فهي علاقة تضحية.



### كيف يمكن للوعي بالمصلحة المتبادلة أن يساعدنا على النجاح؟

يوجد كلمة نتداولها في مجتمعنا دائماً: "أنا أضحى"، هذه كلمة سخيفة لا معنى لها، لا أحد يضحى في هذه الدنيا، فكلمة التضحية تعني عطاء بلا مقابل، لكن فعلياً هي غير موجودة.

مثال على ذلك: الأم تضحى عند عدم استقامة الأولاد وعند زواجه بفتاة لا ترغبها أو يعمل أعمال لا تحبها ولا

ترضي الله، هي نفسها الأم ستقول لماذا أضحى أنا؟ أنا عندما أقدم أريد أن أستعيد، لذلك حتى العلاقة مع الله ﴿أَنْ

اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: 14]، لا يوجد تضحية، أهلك أعطوك بالصغر، قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا

يُبْلَغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَوْفَ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿23﴾ [الإسراء: 23]. يعني أهلك معك بالبيت وتتحمل عناءهم وطعامهم وشرابهم مع كبر سنهم.

مثال رائع جداً عن النبي عليه الصلاة والسلام: هل كان يقدم بلا أخذ؟ لا... كل ما قدمه النبي صلى الله عليه وسلم قدمه لأنه يريد أن يرضي الله عز وجل ولأنه يريد النفع الأعلى، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ»، قالوا: يا رسول الله، وما الوسيلة؟ قال: «أعلى درجة في الجنة. لا ينالها إلا رجل واحد. أرجو أن أكون أنا هو» [أخرجه الترمذي].

النبي يقدم في سبيل الله كل شيء حتى يكون أول الناس وليس آخر الناس.

فكرة العبيثية وأني أضجعي وأنا أعطي بلا مقابل... يوماً ما ستأخذ الجميع وستأخذ كل شيء، من البداية لا تقدم إلا أن تضمن أن هناك عائداً يتناسب مع ما تقدم.

مثال: حتى في صلح الحديبية الثاني، عندما اجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم بالأنصار حين جاؤوا من المدينة، بعد الانتهاء من بنود الصلح والاتفاقية كاملة، قالوا: (فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك) [سيرة ابن هشام]، يعني إذا دافعنا عنك وبذلنا أرواحنا ماذا نستفيد؟ قال الرسول لهم: «الجنة»، إن لكم الجنة وضمن أنه في حياته دائماً معهم، وأبي إلا أن يكون بينهم، ودعا الله عز وجل للمدينة أن يكون خيرها أعم، وأن يكون حبا أشد، وأن لا يؤذيها أحد. كان الدين من البداية واضحاً؛ أن فيه مصلحة.

النبي عليه الصلاة والسلام يضع سطرًا من أعاجيب القول لأي إنسان في الدنيا، يقول: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه، ما خلا أبو بكر، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة» [أخرجه الترمذي]، يعني ذلك أن النبي ينهاك أن تقول: أنا قدمت للدين ولله ورسوله ولم يأتي مقابله عشرات.

يقول عتبة بن غزوان: (ولقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى فرحت أشدأفنا، والتقطت بُرْدَةً، فشققها بيني وبين سعد بن مالك، فأتزرتُ بنصفها، وأتزر سعد بنصفها، فما أصبح اليوم منا أحد إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار) [صحيح مسلم].

إذا الحياة أخذ وعطاء.

هذه رسالة خاصة للأمهات؛ لأن كثيراً من الأمهات ما يشتكين من ذلك، كيف نعلم أطفالنا أن يتقبلوا فكرة أن كل شيء في الحياة فيه أخذ وعطاء يعني مصلحة مشتركة وخاصة في العلاقات؟

أن نُعوّد الطفل نعلّمه: إذا أعطوك أعطيهم والعكس صحيح، إذا لم يوجد مصلحة متبادلة احذر أن تكون ذريعة للاستغلال والاضطهاد حتى في الاستغلالات غير الأخلاقية وغير المنطقية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته